

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
سلسلة أعظم القصص ١٤٤٢ هـ

وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ

قصة أيوب عليه السلام



قرآنية
تشويقات

tashweeqatq@gmail.com

@tashweeqatquran

وذكرى للعابدين قصة أيوب عليه السلام

في قصة نبي الله أيوب عليه السلام تفاصيل لم تذكر في القرآن، وإنما انصب المشهد على ساعة الفرج، ولعل من أسرار ذلك أن ابتلاء أيوب عليه السلام لم يكن في شأن يتصل بدعوته، بل كان مرتبطاً بذاته، ولم يطل السرد؛ لأن موطن الاهتمام في المشهد هو قوة الصبر الذي احتمله أيوب، حتى صار ربه جل جلاله يضرب به مثلاً للعابدين في كل الأزمنة.

قال ابن العربي: "الصبر مقام عظيم من مقامات الدين، وهو حبس النفس عما تكرهه من تسريح الخواطر، وإرسال اللسان، وانبساط الجوارح على ما يخالف حال الصبر ومن الذي يستطيعه!، فما روي أن أحدا انتهى إلى منزلة أيوب عليه السلام حتى صبر على عظيم البلاء عن سؤال كشفه بالدعاء، وإنما عرّض حين خشي على دينه لضعف قلبه عن الإيمان، فقال: مسني الضر وأنت أرحم الراحمين".

قال الشيخ السعدي: "وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاءً من الله، وامتحاناً فنفخ في جسده، فتقرح قروحا عظيمة ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، ومات أهله، وذهب ماله".

وروى الطبري من طريق الزهري، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: "إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلا من إخوانه كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان.."

وذكرى
للعابدين

قال الله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ١٤].

قال الشوكاني : الأولى تفسير النصب بالمعنى اللغوي وهو التعب والإعياء، وتفسير العذاب بما يصدق عليه مسمى العذاب وهو الألم.

قال الشيخ السعدي : أي: بأمر مشق متعب معذب، وكان سُلِّطَ على جسده فنفخ فيه حتى تقرح، ثم تقيح بعد ذلك واشتد به الأمر، وكذلك هلك أهله وماله.

وذكرى
للعابدين

وذكرى للعابدين :

قال الشيخ السعدي : " فنادى ربه : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٣٨] فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له ."

وذكرى للعابدين

فأذن الله بالفرج على أيوب عليه السلام فدفعت عليه الخيرات، قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]

يقول الطبري : "... فلما كان ذات يوم أوحى إلى أيوب في مكانه : ﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ فاستبطأته زوجته التي كانت تنتظره يقضي حاجته لتعود به، فتلقته تنظر، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان؛ فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله على ذلك ما رأيت أحدا أشبه به منك إذ كان صحيحا؟ قال: فإني أنا هو، قال: وكان له أندران: أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض ."

فجاء فرجه فرجاً عظيماً على عدة صور بعضها
ذكر في القرآن وبعضها جاءت به الأحاديث:

- قال الله تعالى: ﴿ اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٢٤] قال الشيخ السعدي: فركض
برجله فخرجت من ركضته عين ماء باردة فاغتسل
منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى".

- ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ ، فشفاه الله وردّ
أهله وضعّف عددهم من بنين وحفدة.

- أنزل عليه الذهب: في صحيح البخاري،
حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: " بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ
عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ
يَحْتَشِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتَكَ
عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ
بَرَكَتِكَ"، "خر عليه جراد من ذهب" فخرّ: أي سقط
عليه جراد من ذهب هذا ظاهر في سقوطه عليه من
علو، وهو إكرام من الله تعالى له، وهو معجزة في حقه،
فشرع يحشي في ثوبه استكثاراً من البركة لكونه قريب
عهد بتكوين من الله سبحانه.

وذكرى
للعابدين

شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة، وقيل لغير ذلك من الأسباب، فلما شفاه الله عز وجل ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثا وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة، وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأتاب إليه".

إذ كان أيوب عليه السلام يعمل عملاً من جنس ما خفف الله عنه به، كما جاء في الحديث أقال أيوب: "كُنْتُ أَمْرُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعَ إِلَى بَيْتِي فَأَكْفُرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةً أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ" تعظيماً لاسم لربه جل وعلا.

قال القسطلاني: "وإنما أخذه كما أخبر هو عن نفسه؛ لأنه بركة من ربه تعالى لأنه قريب العهد بتكوين الله عز وجل أو أنه نعمة جديدة خارقة للعادة، فينبغي تلقّيها بالقبول ففي ذلك شكر لها وتعظيم لشأنها، وفي الإعراض عنها كفر بها".

وذكرى للعابدين

- رخصة من الله لحفظ يمينه : قال الله : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: ٤٤] كان لزوجته أيوب عليه السلام موقف عظيم في هذه المحنة فقد كانت تحوطه وترعاه وتفي له إذ هجره الناس وتخلوا عنه، قال ابن كثير: " وكان أيوب عليه الصلاة والسلام قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته؛ قيل باعت ضفيريها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك، وحلف إن

وذكرى
للعابدين

وقال الشيخ السعدي: ﴿ وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضرر.

﴿ وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]: أي: لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم، أو رحمة منا لأيوّب وتذكّرة لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة.